صراحة

من زمن التغيير

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2444) السنة التاسعة

الخميس (5) نيسان 2012

علي طالب

10

علي طالب والكتابة عن التصوير الفوتغرافي في العراق

عراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

رحيل مبكر للمصور الفوتوغرافي

علي طالب

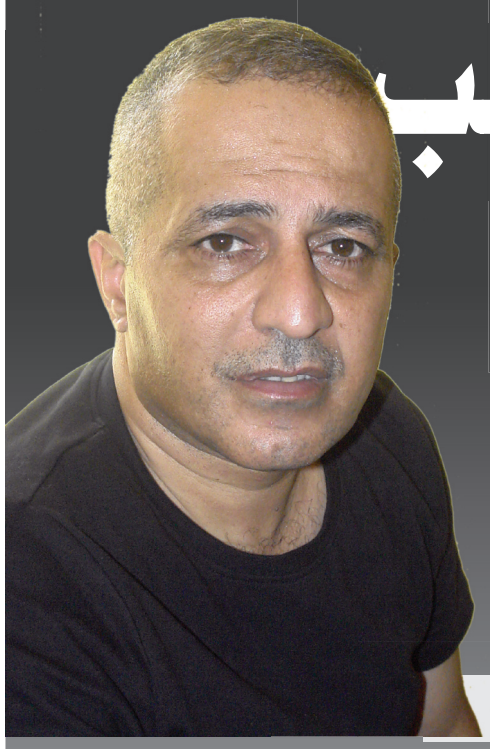

عبدالجبار العتابي

الفنان علي طالب الذي رحل عن الدنيا بعد مرض ألم به عن عمر ناهو الـ ٤٩ عاما، وكان وقع مفاجئا للجميع للرحيل المبكر للفنان الذي كان شعلة متوهجة بنشاطاته الفنية ومشاركاته الثقافية وحركته الدؤوبة في الاروقة الثقافية والفنية، وهو المعروف بعلاقاته وصداقاته الطيبة مع الجميع، وطالما كان يُرى وهو يحمل كاميرته لاقتناص اللحظات الهاربة من عمر الزمن، ولكن الزمن كان له رأي اخر فأطفأ توهجه وأغلق عدسة كاميرته بالظلمة ليفقد العراق واحدا من مبدعيه الشباب، وكانت حصيلته الاف من الصور و(١٥) معرضا شخصيا، كان يحرص فيها على ان يكون قريبا من معاناة الناس البسطاء والفقراء ويضيء طموحاتهم، وكان اخر معارضه ذلك الذي حمل عنوان (اثرياء.. فقراء) واقامه في شهر شباط / فبراير من عام ٢٠١١، الذي قال عنه : (المعرض بذاته اغنياء.. فقراء وهي ثيمه تعبر عن انغماسي في علاقة الانسان بوجوده ولذلك يكاد ان يكون مجسدا في عربات وفقراء وهو رسالة بأنه رغم الفقر هم يعيشون ومتشبثون بالحياة لذلك تجد ان هناك لوحات ملونة وعليها قطع او اشياء اخرى وبهذا المعنى اعتقد ان المعرض حقق ثيمته)، والراحل من مواليد الكرادة ببغداد عام ١٩٦٣.

يقول الاعلامي عماد جاسم : بهذا الخبر الحزين.. فقد العراق هامة فوتوغرافية مهمة لطالما كان لها دور مهم في رقي هذا الفن.. لذا اعزي نفسي اولا واعزي الجمعية العراقية للتصوير وكذلك اتحاد المصورين العرب بهذا الحدث، رحم الله فقيدنا الغالي واسكنه فسيح الجنان والهمنا وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

فيما قالت الروائية عالية طالب : علي طالب – الفنان / الانسان/ المبدع/ الصديق/ الهادىء/ الشفاف، كثيرا ما قالوا لي هل علي طالب هو أخوك – وغالبا ما كنت اقول لهم هو شقيق الكل ما دام مبدعا بجمال ورقة – رحل علي وترك وراءه محبته وفنه ووجوده في عقولنا وقلوبنا ولكم تمنينا له الشفاء كم سألنا الله ان يعود لنا سالما ان يبرىء مما هو فيه لكن قدر الله ان يرحل ويترك في قلوبنا غصة، ادهم صديقه الحميم حزين جدا حزين حد البكاء ينثر لقطات علي في المتنبي وبغداد التي يحب وينثر لوعته وهو يرى علي في كل اللقطات، ادهم ايها الوفي صبرا على قدر الله، اصدقاء علي تذكروه فهو يستحق ان لا ننساه، علي طالب – الى رحمة الله وجنات الخلد

وقال الناقد فؤاد العبودي : رحم الله صديقنا الفنان علي طالب الذي فقدناه مبكرا وهو احد المصورين الفوتوغرافيين المثابرين، وحقيقة فاجأني خبر رحيله، اذ كنت اعلم انه كان يعاني من ورم بسيط في (اللثة) قبل اشهر، وسمعت انه سافر الى شمال العراق لاجراء فحوصات وانه اغلق هاتفه، ولم اسمع عنه شيئا الا خبر وفاته الحزين مع الاسف، واضاف : صور علي طالب لم تختصر تأريخاً بعينه ولاهي مستفيدة من صور زملاء آخرين سبقوا هذا الفنان الذي ابتدأ هوسه بالفوتغراف مذ كان صبياً ليبتاع له والده كاميرا ظل يداعبها سنين طوالاً حتى استقر وعيه وتنامت إمكانيته الفنية، وعلي طالب عاش تجارب عديدة قبل أن يقول ها أنذا ويطرح نفسه كمصور فوتغرافي بتوقيع عدة معارض في الداخل ومشاركات في الخارج. حصلت بعض صوره على الجائزة العالمية في معرض إيطاليا وهي (جائزة الشرف FIAP) بمدينة ميلانو عام ٢٠٠٢ والتي عرضت بصالون (جيفاني كريسبا). كذلك فوزه ولأعوام (٩٩، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣) للصورة الصحفية في صالونات الفوتغراف (بلجيكا، استراليا وصالون بكين العالمي). وعلي طالب لا يخفي استفادته من دراسته في معهد الفنون الجميلة لمجال الرسم مما انعكست على اختياراته للموضوعات الفنية بحيث عمقت مساره الفوتغرافي ونظرته للأشياء بعين رسام وتنفيذ مصور.

× واذ لابد من الاستذكار لابداع الراحل عبر الصور الفوتوغرافية التي التقطتها عدسته، فهنا لابد من استذكار كلماته واقواله عن نفسه وصوره :

يقول (علي طالب):

× منذ الدراسة الابتدائية احببت اللون والتكوينات (الرسم) ظل هذا الحب يلازمني لكن اسرار التصوير كانت تثير لدي التساؤلات فعندما امسك صورة اية صورة ابدأ بسؤال كيف تكونت وعدم التعرف على هذا السر مبكرا اسس لدي رغبة اكبر الى الاكتشاف فقادتني الى المحاولات من خلال اقتناء الكاميرا ومن ثم تتابع المعرفة (الاسرار) من خلال اغتنام فرصة التصوير (صورة شخصية) لدى صاحب الأستوديو أطرح الكثير من الاسئلة وكان من حسن الحظ ان لا يبخل من اصادفهم من المصورين بالاجابة.

×كانت الكاميرا تلازمني في السفرات المدرسية والكثير من المناسبات العائلية والاصدقاء فرافقتني الكاميرا منذ مرحلة المتوسطة واعتقد انها ستفارقني عندما اكون غير جدير بحملها.

× على رأس الأشياء تظل فكرة مطاردة اللحظة الهاربة ما دمت أجد فيها ما يخدم الصورة، حتى أقف طويلاً لأجعلها في ختام المطاف متنفساً عما في داخلي.

× لا اعتقد أن هناك من يقوم بتصوير لقطة ما ما لم يكن يحمل حباً لها وتعلقاً بها.

× اتجاهي إلى التراث.. هو بسبب حبي المتجذر له.. هذا الحب الذي يجعلك تعيش حالات من التأمل والاستذكار.. وتحصل لك في أحيان كثيرة حالات استعادة لحكايات شعبية طالما غفوت على إيقاعها وأنت طفل قبل أن يداعب النوم أجفانك. كما أن هناك دوافع للبحث في تلك الأمكنة القديمة وشخوصها وطريقة معيشة الناس ضمن واقعهم.. لذا اقول دون مبالغة حينما أشاهد وجه رجل طاعن في السن أعود بذاكرتي إلى وجه جدي.. وليس هناك باعتقادي أجمل من تلك الطقوس ويصبح فرحي غامراً حينما أسجلها في ذاكرتي الفوتغرافية، ويبقى خوفي الأكبر من زحف حضارة الأسمنت على معالمنا التراثية).

× انا فنان من مجموعة مصورين تحاول ان تجسد واقع النص البصري الفوتوغرافي الذي يصل الى مستوى الابداع وهو يخرج من مكانه باعتباره مهنة وكل ما يشهد هذا المجال هو حالة من حالات الصيرورة لهذا النص مثلما هناك اخراج فني للكتاب بطبيعة المقدمة والعنوان والغلاف كذلك الفوتوغرافي بحاجة الى مفردات تأسيسية ما عدا النظرية العلمية.

× أكثر الأحيان لا أخشى إذا ما شعر الشخص الذي أروم تصويره، حتى وأن التفت بانتباه إلى الكاميرا لأنني وقتها أراهن على نظرات عينيه.. وما يعنيني هنا هو عمق نظراته.

× في داخلي لا أختلف عن الآخرين.. ربما أنا امتداد للاخرين رضيت أم أبيت...وفي صف تقف فيه لابد من أن تجد هناك من سبقك فيه وهذا هو قانون الحياة. وإذا اردنا القول الفصل في هذا الموضوع فإن سنة ميلادي قد وضعتني ضمن جيلي فأنا من مواليد السبعينيات.. باختصار أن ما ينتج عن الفنان هو الذي يضعه في تصنيف معين.

× انا لست ممن يعمل من اجل الحصول على الجوائز. بل ان فعل التصوير هو الاساس لدي من اجل الابداع وحب التصوير. لا خير بمن يعد نفسه فناناً والهدف الأساسي لعمله الفوز بالجائزة.

عراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

المصور الفوتوغرافي علي طالب:

الفوتوغراف وسيط حواري بين الفنان والمتلقي

حوار: علي المالكي

مازال الفنان المصور الفوتوغرافي علي طالب يصر على القيمة التشكيلية والفن الفوتوغرافي رغم زحف التقنية الرقمية، ويؤكد على الروح الإنسانية لفن التصوير الفوتوغرافي، ويسعى الى اشاعته كثقافة جمالية، التقيناه في اسبوع المدى الثقافي كمشارك نشيط يتميز بروح التعاون ودماثة الخلق وهدوء الفنان المتأمل، ليحدثنا عن حكايته مع الفوتوغراف ورؤيته لهذا الفن.

قال علي: (بدأت التصوير منذ الطفولة، كنت اتتبع الصور، الصور التي تجسد الذكريات والتي اعتدنا عليها في المناسبات كالسفرات والحفلات. وكانت هناك تساؤلات في طفولتي لم أستطع ان اجد لها اجابات واضحة وبعد ان اهدى لي والدي- رحمه الله- كاميرا كانت سبباً في استمراري للبحث عن اجابات لتلك الأسئلة.. فوجدت الاجابات وأخذت اجمع المعلومات، ويستمر الفنان علي في سرد حكايته مع التصوير الفوتوغرافي: فيقول (ثم درست الرسم في معهد الفنون، كما درست السينما في كلية الفنون ولدي مكتبة عامرة بالمصادر والمراجع في هذا الفن، واقمت حتى الان تسعة معارض جميعها في العراق وسأقيم العاشر منتصف أيار وسيكون تحت عنوان (رفيف) على قاعة المصور العراقي، وسيضم أربعين عملاً وبالألوان.

×وماذا عن جريدة العين الاخرى؟

قال علي: في سياق نشر الوعي الثقافي الفوتوغرافي، وجدنا فراغاً في المطبوعات المعنية بفن الفوتوغراف وكانت محاولة اصدار جريدة متخصصة بعنوان (العين الاخرى)، وتوسمت بدعمها ممن يعنيهم الأمر ولكن للأسف لم احصل على أي دعم، وحبي للمشروع جعلني اتحمل دفع نفقات اصدار عددين منها ووزعتها مجاناً على الزملاء، وتوقفت التجربة لعدم وجود الدعم المالي!

×وكيف ينظر علي طالب الى فن الفوتوغراف؟

– يرى الفنان علي طالب ان الموهبة لغة لا تلقن ولا تعلم، الدراسة تهذب، وتثقف الفنان ليطلع معرفياً، والعمل والممارسة من شانهما تعزيز حرفية الفنان، المهنة تطور عين الفنان الفوتوغرافي.

اللقطة لا تأتي من العبث وإلا تحولت البوماتنا الى اطنان من الورق لا غير ولأ صبح كل الناس مصورين فالمصور فنان يتعاطف مع أو ضد إضافة الى انه يحول هذه الورقات الى اسقاطات من المشاعر والافكار، ان الفوتوغراف وسيط حواري بين الفنان والجمهور وليس بالضرورة ان ينتظر الفنان مقياساً للتفاعل.

× وكيف تنظر الى زحف التقنية على فن الفوتوغراف؟

– اتمسك بـ(مثل) على هذا الموضوع، الفوتوغراف يتميز عن كل الفنون التشكيلية فقد نشأت تلك وبقيت أدواتها هي هي ولكن أدوات الفوتوغراف متغيرة لان الفوتوغراف مبني على الآلة الميكانيكية فالآلات تتغير ولا اعتقد ان التطور التقني يدمر الفوتوغراف، بل هناك دفعه للإمام الا وهي اختصار عامل الزمن وتقليل استخدام المواد، والحصول على أفضل النتائج وتبقى نظرة الفنان وابداعه هما الاهم، فكاميرا متطورة بيد من لا يحسن استخدامها لا تساوي شيئاً، وكاميرا بسيطة بيد فنان تنتج ألاف اللوحات الجميلة.

× هل لك ان تقيم الفوتوغراف العراقي؟

– الفوتوغراف العراقي في محنة، دخل الفوتوغراف الى العراق مع الجيش الانكليزي ورغم هذه الميزة لم يتجاوز الفوتوغرافي العراقي مستوى المحلية ولاسباب كثيرة.ز واستبشرنا خيراً بعد سقوط النظام في عام ٢٠٠٣ وتبدل المسار الثقافي والفني في العراق وسقوط النظام الشمولي وتوقعنا ظهور تيار تجديدي في الفوتوغراف العراقي ولم يحدث وقد تكون الظروف الصعبة التي يمر بها البلد هي السبب.

ان الفوتوغراف العراقي الان فاقد للأسس الصحيحة فلا يوجد اهتمام به كفن على مستوى واسع ولايدرس في مادة الرسم الى جانب بقية المواد الاخرى بالنسبة للطلبة رغم ان الفوتوغراف بأهميته يدخل في الكثير من المجالات الحياتية وهناك ملاحظة وهي ان اغلب المصورين محليون ومنحازون الى مدنهم والبيئة المحيطة، ولدي ارشيف يضم صوراً من أبي الخصيب حتى اقصى نقطة في شمال العراق، وهي صور ليست سياحية ولكن صوراً تنظر وجاءت نتيجة معايشة ومراقبة ثاقبة لايقاع الحياة والناس في كل مدينة.

× وماذا عن التجربة مع مؤسسة (المدى) ؟

– تجربة اعتز بها الا وهي ورشة (مصورين صغار) والتي اقيمت العام الماضي في قاعة ميديا بالتعاون مع الفنان هادي النجار وعلي المندلاوي ودعم مؤسسة المدى ليؤكد على نشر الوعي الثقافي بالفوتوغراف. وتأتي هذه الممارسة كرد على حالة تدمير العقول النقية للأطفال وزجهم في نشاطات فنية متعددة كالرسم والموسيقى والفوتوغراف وسنكرر هذه التجربة بتطويرها .

هذا الحوار نشر بعد المعرض الاخير للفنان الراحل

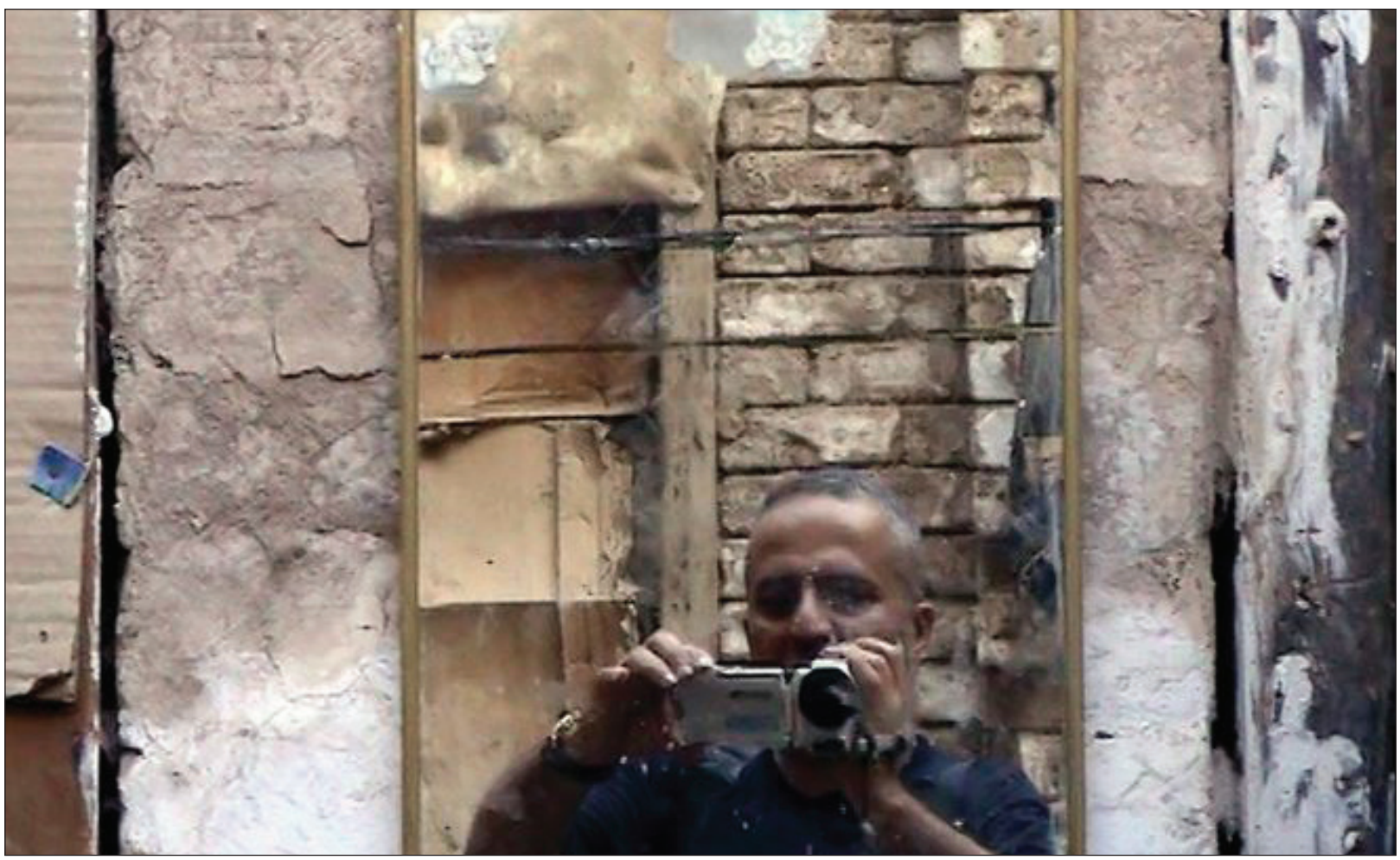

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

الفوتوغرافي علي طالب يسلط الضوء على العتالين في الأسواق العراقية

قال المصور الفوتوغرافي العراقي علي طالب انه نجح في ايصال رسالته الى المتلقي عبر معرضه الخاص الـ ١٥ الذي اختتم في بغداد الاسبوع الماضي.

حمل المعرض عنوان (اثرياء فقراء) وفيه سلط طالب الضوء على الكادحين من الذين يعملون في العتالة داخل الاسواق العراقية، كما وابهر زوار المعرض بالديكورات التي عكست البيئة الشعبية البسيطة.

التقى موطني بالمصور علي طالب في بغداد، وكان معه هذا الحوار:

× اطلقت على المعرض اسم اثرياء فقراء، كيف تفسر هذا التضاد؟

-علي طالب: المعروف عن العراق انه بلد غني بالثروات، وبرغم ذلك نجد ان هناك شريحة من المواطنين فقراء ويمتهنون العتالة ويجرون العربات في الاسواق. ورأيت ان اسلط الضوء على هذه الشريحة لأنها جزء من مجتمعنا.

نعم هناك حملة اعمار، لكن الواجب الوطني يحتم علينا ان نلفت الانظار الى الفقراء. وللفوتوغراف تأثير كبير لأنك تستطيع من خلال الصورة ان تترك بالغ الاثر على الاخرين. والصورة دائما تغني عن الكثير من الكلام خاصة اذا ماالتقطتها عين مدربة.

×جميعهم يبحثون عن عيش كريم وسط ضجيج الاسواق وتعب العمل وضيق العيش ويحدوهم امل.موطني: ما الذي اردته تحقيقه من خلال المعرض؟

-طالب: اريد أن اوصل صوت هؤلاء الناس الذين يملؤون الاسواق بعضهم يدفع او يسحب عربات محملة بمئات الكيلوات من البضائع. وهم يعملون بكد وشرف من أجل توفير اللقمة الحلال والعيش الكريم. اذا يستحقون منا الاحترام والتقدير.

×: صنعت اجواء شعبية خاصة في قاعة المعرض. الاتعتقد ان الصور كافية للوصول الى الغاية؟

-طالب: هناك ارتباط وثيق بين البيئة الشعبية والانسان العراقي الذي يحب هذه البيئة. وهي بيئة تعتمد على البساطة وهي ايضا مكان عيش هؤلاء العتالين واماكن عملهم ايضا.

الفكرة ربما تكون غريبة، حيث غلفت جدران وسقف قاعة العرض بقماش من النوع الذي تصنع منه اكياس تستخدم في العتالة وتعبئة المواد الغذائية وتسمى بالعامية (كونية). وعلقت الفوانيس ومصنوعات تراثية تدل على الحياة البسيطة. واود ان اوجه الشكر الى مؤسسة المدى للثقافة والاعلام التي تبنت اقامة المعرض وتحملت جميع تكاليف اقامته.

×: نقلت للمشاهد في لوحاتك حركة الاقدام. ماالذي كنت ترمي اليه من خلال هذه الثيمة؟

-طالب: اقدام هؤلاء الكادحين وايديهم تظهر عليها اثار العمل والجهد والتعب لأنها مركز تسليط القوة، حيث تستخدم في الدفع او السحب. وتجد اقدامهم متسخة لانهم يدفعون العربات المحملة بالبضائع ويسيرون بها على الاوحال والطرق المتربة التي تترك اثرا على اقدامهم. وكانت هذه الاقدام كفيلة بنقل معاناتهم.

زين طالب جدران المعرض بالقماش والصناعات اليدوية للدلالة على بساطة الحياة التي يعيشها الناس.

[محمود الملحم/موطني

×: الخروج بلوحات فوتوغرافية من هذا النوع يتطلب معايشة الواقع. هل عايشت هؤلاء الناس؟

-طالب: بالتأكيد. وتعرفت عليهم عن قرب وعن مشاكلهم ومعاناتهم وطبيعة عملهم. وهم يختلفون عن بعضهم المبعض، منهم الصغير في السن والشاب والمسن ومنهم حملة شهادات جامعية. جميعهم يبحثون عن عيش كريم وسط ضجيج الاسواق وتعب العمل وضيق العيش ويحدوهم امل. لذلك هم اغنياء بالامل واغنياء بانتمائهم لبلد غني يستطيع ان يوفر لهم عملا افضل بكثير من هذا وذلك مانأمله. لذلك كان احد اهداف هذه اللوحات هو الاحتجاج على واقع مرير وارجو اني وفقت في تسخيير كاميرتي للتعبير عن لسان حالهم.

×: هل تحمل من خلال (اثرياء فقراء) رسالة سياسية؟

-طالب: ليس بالضرورة ان اوجه من خلال هذه اللوحات رسالة الى فئة بعينها، لكنها رسالة الى الجميع وبضمنهم السياسيين لأنهم جزء من المجتمع وليسوا خارج هذا الاطار. هناك ظروف عديدة اجتمعت ليزداد عدد العاطلين عن العمل، وبالتالي يبحثون عن أمل للعيش. وحين نسلط الضوء على هذه الفئات الفقيرة، ليس من خلال الفوتوغراف فقط بل ومن خلال الفنون الاخرى البصرية والفكرية، اعتقد اننا سوف ننجح باصلاح السلبيات.

عراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

علي طالب
رحيل في غير أوانه

عبد العليم البناء

علي طالب ينضم الى قافلة المبدعين العراقيين الذين يرحلون في اوان غير اوانهم، وفتغتال احلامهم على حين غرة ودون سابق انذار فهذا القناص للحظات المعبرة التي تتفاعل في مسيرة وحيوات العراقيين بمختلف مكوناتهم وشرائحهم كان مشروعا ابداعيا قد انطوى على الكثير من الرؤى والاحلام المؤجلة فهو على الرغم مما قدمه من عطاءات لاغبار عليها لاسيما وانها ازدانت بروحية المبدع المبصر عبر عدة قتالية مسالمة حاولت مصارعة الاقصاء والتهميش وغمط حقوق وحريات الذين حرموا من ابسط مستلزمات الحياة السوية والطبيعية..

الراحل علي طالب الحاصل على دبلوم رسم من معهد الفنون الجميلة و بكالوريوس سينما من كلية الفنون الجميلة زاوج بين هذين الاختصاصين الاكاديميين متوسما خطى الابداع بمهنية وحرفية عالية ومشهود لها بالتفوق والتميز تكرست عبر اثرمن اثني عشر معرضا شخصيا مع المشاركة في معرضين مشتركين في بغداد (قاعة حوار) ٢٠٠٢ و٢٠٠٥ واخر مشترك في ايطاليا عام ٢٠٠٧ وحاصل على جائزة الشرف في معرض جوفياني كريسو ايطاليا (ميلانو) ٢٠٠٢ فضلا عن العديد من الجوائز في معارض عراقية ناهيك عن تجربة متميزة من اجل نشر واشاعة ثقافة وفن الفوتوغراف عبر اصداره لمجلة العين التي لم تطل مدة اقامتها داخل المشهد الثقافي والاعلامي الابداعي العراقي...

لقد كانت صوره حكايات متصلة تتحدث عن اولئك الذين تندحر احلامهم من خلال نص فوتوغرافي يحاكي الواقع ويتجاوزه وفق رؤية مستقبلية لا تخلو من التجريب والمعالجة الحداثوية لاسيما في اخر معرض له (اثرياء... فقراء) ليبرز اولئك الفقراء الذين اوجزهم في الحمالين الذين كانوا مثله واضحين وتجللهم غمامة البؤس.. من خلال (عربة الحمل) التي كانت تشكل وحدة موضوع المعرض .. وبالرغم من اننا نعش في الالفية الثالثة الا ان الذين يقودونها هم شباب خريجون بدلا من ان يتغنوا بأحلامهم بوظيفة لم يظفروا بها او بمهنة منتجة فبات همهم الوحيد البحث عن لقمة العيش.ليضعنا في دائرة التساؤل المرير عن مصائرهم الملتبسة..

لقد كان علي طالب ذلك الفنان الذي يطرح وجهة نظره في عموم الاشياء.. ولم يكن معنيا الا بالجانب الفني اذ كان بيانه الوحيد هو عمله الفني مهما اختلفت وجهات النظر فيه.. انه وسيلته الفنية.. التي يبحث من خلالها ما يعزز مكانته كفنان من الشعب والى الشعب ولهذا لا اعتقد ان هناك احدا قد سبقه الى طرح هذا الموضوع ولا بطريقة العرض ولا حتى الفكرة التي ناقش بها موضوعا ذا حساسية عالية كانت مادته الشباب الذين يعملون عتالين (حمالين) لكنهم بالمقابل يحملون شهادات جامعية. ..وهو مايحصل للمرة الاولى في تأريخ فن الفوتوغراف العراقي.. لقد عقد في اعماله ميثاق شرف مع المتلقي ينبع من حتميةعلاقته بالمجتمع التي تدفعه الى التحري الفني والى مزاولة دوره في الكشف عن الخبايا فالصورة ماعادت نقلا حرفيا بل هي – كما يرى – بحث دائب تتحكم فيه جملة مقومات انسانية ومادية وعلى هذا الاساس يظل الفنان ابن عصره دائما... وعلى هذا الاساس سيظل فقيد الفوتوغراف علي طالب علامة فارقة لن تنسى ابدا

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

صباح مؤجل .... للفنان علي طالب

احمد المطيري

لان الصباح بداية جديدة و إيذانا بنهاية ليل مدلهم .. ففيه إيقاع الحياة التي نتنسم عبير الحرية من خلاله ، بعد ان أرهقتنا ليالي الانتظار حدا بدأنا نفترض فيه صباحاتنا .. صباح نحلم به ربما يأتي محملا بالفرح والبشارة ولكنه مع هذا يبقى صباحا مؤجل ..

ويبقى صباحا مؤجل للفنان الفوتوغرافي علي طالب الذي رسمه بهمومه وأمنياته في معرضه الأخير على قاعة شرق غرب .

الذي يقف متأملا صور المعرض يحتاج وقتا طويل من التفكير والبحث عن تلك الأشباح التي حاولت ان يجسد من خلال ملامحها الحزينة قصة وطن ، فهذا الذي استخدمت عدسته لصنع لوحات تشكليه عن واقع الحياة والصباحات المؤجلة ورغم عتمة المشاهد إلا ان الأمل يبقى حاضرا في كل صورة ان صحت هذه التسمية فعدسة علي طالب هي فرشاة رسم من خلالها صباحه المؤجل .. ربما يرجع هذا لخلفيته الدراسية فقد تخرج من معهد الفنون الجميلة فرع الرسم إلا انه مزج بين الرسم والتصوير الفوتوغرافي بعد ان درس السينما في كلية الفنون الجميلة .

أمنيات مؤجلة ....

" صياد أيام منخوبة .. و قناص ظلمات تلملم ذاتها المنهكة وتتعنكب في الزوايا الركينة التي تفقدت وأشجتها مع النص الحي للأشياء "

فتجد ظمأ النهارات في صور هي لوحات تشكليه لواقع يومي نعيشه بانتظار الحرية التي فارقتنا منذ زمن بعيد .. حرية التحليق بعيدا عن الخوف ...

الفنان الفوتوغرافي فؤاد شاكر بدأ حديثه عن تجربة الفنان علي طالب في هذا المعرض فمعروف عن الأخير بأنه يشتغل على الواقع بإلحاح شديد ، ولكن شاكر يرى ان علي طالب قد غير اتجاه في هذا المعرض فصوره اقرب من التشكيل إلى الفوتوغراف وارجع هذا الأمر إلى العقدة التي عند كل فنان لربط فنه بالفن التشكيل العراقي لان الصورة الفوتوغرافية دائما وتستمد من الواقع وتصور سمات الوقت وتصور الواقع بكل متغيراته وكل تناقضاته ، فالصورة ترتبط بالزمن لأنها تسجل سمات الوقت وهذه أهم عنصر من عناصر التصوير الفوتوغرافي وعلي طالب في معرضه هذا قدم أشياء اقرب إلى التشكيل وركب العناوين على الصورة .

ويرى شاكر ان الأصح هو أمنيات مؤجلة أفضل من الصباحات المؤجلة ولكن مع هذا نحن نشد على يده في محاولته هذه والتجريب الفوتوغرافي الذي يحتمل الخطأ ويحتمل الصح .

وأكمل قائلا :

من الخطأ ربط فن الفوتوغراف ربطه بالحركة التشكيلة لأنه فن مستقل بحد ذاته ، والحركة التشكيلة هي حركة عريقة و الفوتوغراف غير الكثير من المفاهيم والأفكار ، ومن حيث المبدأ تجربة علي طالب تكاد ان تكون موفقة في التجريب الفوتوغرافي وصولا إلى مسألة التكامل التي تتعلق بالزمن والهمة .

عين ثالثة ..

عين ترى الإنسان على حقيقته "

فهو ظل كثيف لا ملامح له يزحف على الأرض ، تواريخ وأحداث اهترأ نسيجها الرؤيوي ، ولكنها تجاوزت حدود الوهم البصري "

الفنان التشكيلي نوري الراوي وصف تجربة طالب بأنها البحث باستمرار عن تقنية جديدة وتعبير جديد يرفع الفوتوغراف من سكونيته إلى الحركة ومعنى أكثر من تسجيل واقع معين لذلك استخدم الفوتوغراف في نقل الفكرة مع الرؤيا الواقعية في مزج تشكل من خلاله لوحة فنية ، وهي مرحلة أخرى عالية بها رمز وتقنية جديدة .

ويرى الراوي ان لا ضير في وجود العناوين على الصور لأنه يعطي شعور للمتلقي وباب للدخول لهذه العالم .

إما الفنان التشكيلي فهمي القيسي فيقول :

دائما يفاجئنا علي طالب بولادته الجديدة فأعماله تحمل الكثير من الاستفزاز للمتلقي أولا كوثيقة وثانيا لجماليتها العالية .

صباح مؤجل .. وأمل وأشياء أخرى ...

" مدينة علي طالب ابتناها مرجانيا على أديم ارض من الوهم والحقيقة الجارحة معا .. مدينة تمضغ أوجاعها وإحزانها بانتظار صباح مؤجل .. صباحا طعمه مختلف لأنه صباح الحرية "

فهو انسان عراقي يحب وطنه وينتظر صباح الوطن المؤجل أيضا ...

× لماذا أؤجل هذا الصباح ؟

يرد على تساؤلي هذا قائلا :

بعد ليل طويل قبل عام ٢٠٠٣ ، ليل امتد لأكثر من أربعة عقود انتظرت الناس هذا الصباح ولكن بكل أسف ومرارة صاحبت هذا الصباح هذا أحداث وإحداث أطلقت عليه تسمية مجاز أؤجل هذا الصباح لان نأخذ حريتنا لأجل ان نرمم حياتنا ولكن هذا ليس أشارة تشاؤمية للحياة القادمة لأننا لازلنا ننتظر الصباح الحقيقي .

× صورك هي اقرب إلى أللواحات تشكليه هل كنت موفقا بهذا المزج ؟

بما إنني درست التشكيل وتجد هذا التأثير واضحا في صوري وهناك مبدأ عام هو ان تسخر الأسلوب في توظيف إيصال الفكرة فألان إذا استدعيت ان أوصل الصورة إلى التشكيل لأجل ان يتوقف المتلقي كثيرا فهذا الشيء يفرحني .

× ملامح الذين يظهرون في صورك ضائعة وكأنهم أشباح الصورة عادة تهتم بإبراز الملامح ؟

هناك معالجة لنقل الواقع والتوثيق وهذا الأمر ابتعدت عنه واستخدمت الشيء الرمزي للإيحاء في الصورة أنت والآخرين ظاهرين فيها ، هل هذه المرأة المسكينة التي يحيط بها الدمار هل هي امرأة معينة أم اغلب النساء أو الطفل الذي يعيش حياة معدمة بسبب الظروف هل هو طفل معين أيضا أم هم أطفال كثيرين .

× لماذا العناوين تحت الصور ولماذا لم تتركها لمخيلة المتلقي ؟

هناك مبدأ اذاما صنعت شارعا عليك ان تضع فيه شواخصا لكي لا تترك الناس في متاهات وهي ليست لتحديد بل للإشارة من الممكن ان يسترسل الآخرين فيها ولكن المقصود ماذا قصدت من الموضوع .

بطاقة شخصية

الفنان الفوتوغرافي علي طالب

× دبلوم رسم معهد الفنون الجميلة بغداد .
× بكالوريوس سينما كلية الفنون الجميلة بغداد .
× عضو اتحاد المصورين العرب .
× عضو نقابة الصحفيين العراقيين .
× عضو نقابة الفنانين العراقيين .
× عضو الجمعية العراقية للتصوير .
× اثنا عشر معرضا شخصيا أخرها عن استهداف شارع المتنبي بعنوان رماد العنقاء ورفيف أخر عن الاهوار في جنوب العراق أقيما في اربيل ٢٠٠٧ (أسبوع المدى الثقافي).
× المشاركة في معرضين مشتركين في بغداد (قاعة حوار) ٢٠٠٣ و٢٠٠٥
× معرض مشترك في ايطاليا عام ٢٠٠٧ .
× حاصل على جائزة الشرف في معرض جوفياني كريسو ايطاليا (ميلانو) ٢٠٠٢ .
× حاصل على العديد من الجوائز في معارض عراقية .

عراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

علي طالب:
لهاث أحلام الفقراء في أرض الذهب

فهد الصكر

"الأرض مع عرباتهم تدور وشمس حارقة وبرد موجع يعتصرهم يحملون الهموم وعجلات تبكي على أنين كدهم مثلث مقلوب.. وعدل مثقوب يلبسون باليات عوزهم ويلهثون نحو فتات الأحلام إنهم أثرياء.. عفواً فقراء في أرض الذهب والأنبياء!"

تلك من مدونة الفوتوغرافي – علي طالب – دونها في افتتاح معرضه الخامس عشر (أثرياء.. فقراء!) على قاعة أكد للفنون التشكيلية، ثمة بسطاء تجمعوا عند مدخل القاعة التي أرشفت عرباتهم المعبأة بالأنين والصياح، وسط عالم يعج بالأشياء التي لهم فقط حق النظر اليها! وثمة موسيقى يحتفل فيها المكان ترسل أشارات نشم من خلالها عبق (الخانات) المترعة بوجع (العتالين) والقابعة في حواري بغداد الأثر، بعيداً عن المعادلة الطبقية بين الناس، إذ نقل الينا – علي طالب- عوالم (الخان) بكل ما يجسده المكان، وكأننا نتحاور مع شخوصه بالرغم من مغادرتهم اللوحة،وهنا يقول الفوتوغرافي – علي طالب – (تتسم شريحة (الحمالين) بتعامل سيئ من جميع أفراد المجتمع بطبيعة عملهم، لكن لم يستوقفهم ما هو أعمق من المعاناة الفيزيائية.

ولكي أجسدهم بطريقة غير تقليدية، اخترت ما يرمز اليهم (العربة) التي هي رفيقهم الدائم ومصدر رزقهم، والعربة نجدها مختلفة من شكل الى آخر بحكم أدائها، وبالنتيجة يجعلني هذا الموضوع أصطف للمناصرين لهم، والمطالبين من الدولة بالانتباه لهم) وأضاف (من خلال عدة معارض طرحت رسالة، أن نلتفت الى بغداد بأزقتها وتراثها، ولكني أجد كلامي كالنفخ في كيس مثقوب يمر مع المعرض ويطوى كالكتاب).والفنان الفوتوغرافي علي طالب، يتوحد مع كائناته، ويدخل عزلتهم المؤجلة في فوضى دروب الحياة، غائراً في يقين التوجس والخيفة التي ترافق شخوصه، التي ربما تراودها أحلام من طراز خاص، وهم يدوّنون تفاصيل أيامهم على هامش مهمل، وهذا التوحد يلغي ما يصنعه المجتمع من كتل كونكريتية بينه وبينهم، إذ أن (كاميرة) علي صارت جزءاً أليفاً من حكايا هؤلاء، بل هم ألفوا حواره الفوتوغرافي معهم، ولا أدل على ذلك حين جاء أو جاءت شخوصه الى المعرض الذي أثار أكثر من جدل لدى المتلقي وهو يعاين هذا المشهد البصري، لتتناغم مع واحة المعرض مشكلة صورة أخرى متحركة الأبعاد هذه المرة!

ومرة أخرى يتهادى صوت علي طالب مؤكداً انتصاره لهذه الكائنات (رغم انشدادي التام إلى عملي، إلى السطح ومعالجاته، التي قد تعزز الفكرة وتضاعفها بنائياً، أو مع عمليات الحذف والطمس والإضافة وما يتبعها من نشوء فكرة أخرى جديدة في أثناء التنفيذ فإن هذه العملية تشبه الى نحو كبير استحضار يقين مفقود. هذا ما أريد التوصل إليه، إنني أستحضر يقيناً مفقوداً، لذا فأنا لا أطرح إجابات.. هاجس الخراب يقيم في داخلي، وهنا ينشأ صراع بين لذة الانقطاع إلى العمل، والإدانة التي تأتي بها النتائج، إنها معادلة خطرة.. معادلة فاجعة ولزجة.. وسأنتصر عليها).

وفي جميع معارضه، يؤكد الفنان علي طالب حضوره، وتميزه في التقاط لوحاته ببوح شخصي مميز، كما يسميه الفنان ضياء العزاوي.

علي طالب في مرايا هؤلاء

الفنان كفاح الأمين

(يعتبر المعرض محاولة جديدة لإيجاد علاقة بين الفوتوغراف والمكان، بشكلها المادي، كلوحة، كإطار، كعرض، وهذا يؤدي الى رفع مستوى الوعي الفوتوغرافي في الحالة العامة المتعارف عليها الى مستويات النص البصري، إذن اللوحة الفوتوغرافية والمكان، كالعلاقة مع الكلمة والكتاب، وإن علي طالب يسعى ضمن تأسيسات النص البصري الى إعادة تعريف الفوتوغرافيا، باعتبارها مكاناً إبداعياً، ولذلك مثل هذه المعارض ستثير التساؤل حول أهمية المكان فوتوغرافياً).

الفنان عبد علي مناحي

(في معرض الفنان علي طالب، يوجد موضوع واحد اشتغل عليه، وهو العربة التي شكلت البعد البصري لعموم المعرض، وعلي طالب لا يقف عند حدود موضوع واحد إذ أجده متغير في تطور اشتغالاته الفوتوغرافية، وتبنى صناعة الصورة لها منابعها التي لا تتغير وتبقى التشكيلات مكملة لها).

الفنان شكر باجلان

(أرى في بعض الأعمال الفوتوغرافية للفنان علي طالب أنها شبيهة بأجواء أعمال الفنان – أوسكار كاكوشكا – وأجد بعض الجمل والأرقام التشكيلية كان قد طرحها بعض التشكيليين العراقيين في سبعينيات القرن الماضي، وهي قريبة الى حد ما من أسلوب البعد الواحد).

الفنان أيمن العامري

(المعرض يعبر عن معاناة شريحة معينة من المجتمع وهي (الفقيرة) إذ اقترب منها علي طالب وصورها بجمال بصري، منتصراً لجوق الحمالين من خلال الرمز لهم بالعربة).

والجدير أن الفنان علي طالب حائز على دبلوم وبكالوريوس سينما من كلية الفنون الجميلة، وله مشاركات عربية ودولية في فن الفوتوغراف.

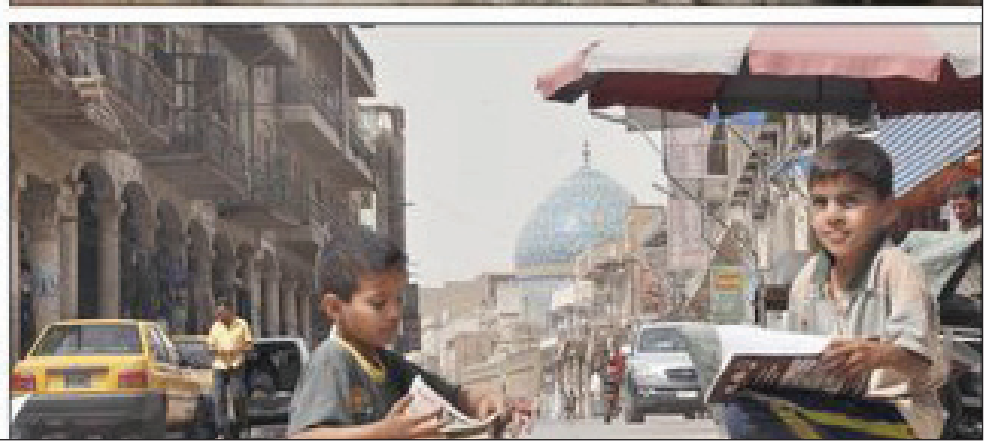

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

من زمن

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

علي طالب والكتابة عن التصوير الفوتوغرافي في العراق

رفعة عبد الرزاق

عن عمر ٤٩ عاما ، وبعد معاناة مع المرض لعدة اشهر تنقل خلالها في مستشفيات بغداد واربيل وبيروت رحل عن عالمنا الفنان والمصور الفوتغرافي علي طالب ، الذي يعد واحد ابرز اعضائها الذي شارك في اغلب المعارض التي اقامتها الجمعية فضلا عن اقامته لـ ١٥ معرضا شخصيا كان معرضه (اثرياء .. فقراء) الذي اقامه ضمن نشاطات مؤسسة المدى في شهر شباط من عام ٢٠١١، وحصلت بعض صوره على الجائزة العالمية في معرض إيطاليا وهي (جائزة الشرف FIAP) بمدينة ميلانو عام ٢٠٠٢ والتي عرضت بصالون (جيفاني كريسبا). كذلك فوزه ولأعوام (٩٩، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣) للصورة الصحفية في صالونات الفوتغراف (بلجيكا، استراليا وصالون بكين العالمي). وعلي طالب لا يخفي استفادته من دراسته في معهد الفنون الجميلة لمجال الرسم مما انعكست على اختياراته للموضوعات الفنية بحيث عمقت مساره الفوتغرافي ونظرته للأشياء بعين رسام وتنفيذ مصور.

رحيل علي طالب جعلني افكر في كتابة هذه السطور عن تاريخ الفن الفوتغرافي في العراق لاقدمها تحية لروحه الطيبة ولحبه وعشقه لهذا الفن

بدايات هذا الفن في العراق

لا يعرف على وجه التحديد، بداية معرفة العراقيين بالتصوير الفوتوغرافي ولا توجد اشارات واضحة تعين الباحث على ذلك. غير انه من الواضح ان عددا من الرحالة الاجانب والدبلوماسيين الاوروبيين في الربع الاخير من القرن التاسع عشر قد التقطوا صورا مختلفة عن العراق ومواطنيه.

ولعل هؤلاء الاجانب هم الذين ادخلوا التصوير الى العراق، فتأثر بهم بعض الهواة العراقيين. ومن المهم في هذا ان الارسالية الدومنيكانية في الموصل. وهي الجماعة الدينية المسيحية التي لها اليد الطولى في النهضة الثقافية في الموصل التي سبقت مدن العراق الاخرى، بما فيها بغداد، كانت قد عرفت التصوير في هذه الفترة، وان هناك من هؤلاء الآباء من تدرب على التصوير الفوتوغرافي.

وذكر عدد من الكتاب الدومنيكان يحتفظون بـ (ألبومات) عديدة بالصور التي التقطوها في الموصل ووثقوا فيها الحياة في هذه المدينة. بل ان رائد التصوير الفوتوغرافي في العراق نعوم الصائغ، تعلم فن التصوير لدى هؤلاء الاباء.

وكان احمد عزة الفاروقي (١٨٢٩-١٨٩٢)، وهو سليل اسرة علمية وادبية شهيرة في الموصل (اسرة العمري) قد استهواه فن التصوير عند رحلته الى الاستانة، وادرك العملية الفيزياوية التي يجري التصوير وفقها، فألف رسالة في التصوير الشمي سماها (حسن التدبير في صناعة التصوير)، نسختها الخطية محفوظة لدى السيد ناظم العمري في الموصل. وقد ذكر في مقدمة الرسالة: لما وردت دار الخلافة حتى وقفت في بعض الايام على صناعة التصوير المسماة الفوطغرافي، فوكرت على قننها بالقوادم والخوافي، ولما احكمت اعمالها، حتى اجبت ان اشرح ذلك.. خدمة لأهل وطني من زمني.. ونود ان نذكر هنا ان احمد عزة الفاروقي، وهو ابن اخي الشاعر الكبير عبد الباقي العمري، عمل محررا للقسم العربي من جريدة الزوراء، كما تقلد مناصب ادارية رفيعة في الدولة العثمانية. ومن آثاره جمع ديوان الشاعر عبد الغفار الاخرس وسماه (الطراز الانفس).

كان العوام يسمون الصورة رسم وعكس وتصوير وغير ذلك، وذكر الشيخ جلال الحنفي البغدادي في العدد الاول من جريدته (الفتح) ليوم ٢٨ شباط ١٩٣٩، ان التصوير لم يكن معروفا قبل اكثر من خمسين سنة، وممن سعى الى ادخاله الى بغداد المصور الموصلي داود غزالة، فأتخذ له حانوتا بالقرب من جامع الخاصكي، ومنهم مصور ارمني يدعى ابكار دونتشيان وكان محله في رأس القرية بجوار بيت الجوربجي، ومنهم الحاج عبد الغني كبة. وذكر المرحوم قدري عبد الرحمن، المصور الاهلي (ت ١٩٨٩) ان اباه عبد الرحمن محمد عارف، اسس اول محل للتصوير قبل سنة ١٩٢٠ وان المصور محمد نورس هو اول من ادخل التصوير الكهربائي الى العراق.

ويذكر الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ ان صناعة التصوير اقتصرت في العهد العثماني على جماعة في بغداد، وهو قول غير صحيح بالمرة، فالتصوير عرف في الموصل قبل بغداد بسنوات طويلة.

وقد ذكرت عدة روايات عن ريادة التصوير، غير انها تتفق على ان الموصل شهدت ظهور فن التصوير في العراق. والمرجح ان (نعوم الصائغ) هو اول من ادخل التصوير كمهنة وهواية قبل غيره. غير ان المصور الكبير (حازم بك) ذكر ان جد والدته، يوسف الياس سنبل، هو الذي ادخل التصوير الفوتوغرافي الى العراق، ومما قاله حازم باك (كتب ذلك بتقرير قدمه الى المصور الراحل امري سليم في الخمسينيات من القرن الماضي) ان يوسف بن الخوري الياس بن ججو سنبل وزوجته فريدة ابنة الشماس جرجيس بن ججو خياط، ولداي عائلة (سنبل) العريقة في الموصل، وفي دارها في سوق الشعارين في شارع النبي جرجيس، وتلقى تعليما دينيا ثم درس العلوم الحديثة وانصرف الى العمل التجاري كأفراد اسرته الاخرين. وانشأ في بيته مكتبة عامرة وفيها كتب فرنسية عن التصوير الفوتوغرافي.

ويضيف حازم باك ان يوسف الياس سنبل احتفظ من (دار لوميرفي في باريس) بصور سالبة (نيكتف) زجاجية وجيلاتينية بعد سنة ١٨٨٩ او قبل ذلك، وورقا فوتوغرافيا من (دار ماريون) التي اندثرت فيما بعد، واشتهر امره حتى اصبح يعرف (يوسف سنبل فوطغرافي الشمسي في الموصل)، وذاع صيته لدى الطبقة الاجتماعية الاولى اضافة الى الدوائر الحكومية في ولاية الموصل. وكان سنبل يحسن الطباعة بالألوان المتباينة ويستخدم في ذلك مركبات الذهب وغيرها. ولم يقتصر فنه على ضوء الشمس، بل استفاد من ضوء شعلة المغنيسيوم في اعماله، فهو اول من استخدم تلك المواد في اعماله. وتطور عمله الى تسويق الافلام واوراق الطباعة سنة ١٩٢٢. ويضم ارشيفه صورا كثيرة لابناء الموصل وغيرها، مما تعد ثروة وثائقية مهمة.

ومن الذين تعلموا فن التصوير الفوتوغرافي لدى الآباء الدومنيكان، نعوم داود الصائغ، من اسرة مسيحية

عراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

معروفة بالموصل باسم بيت دلال، وقد عمل شماسا في الكنيسة، وقد نشأ في اسرة عريقة جمعت العديد من المواهب والفنون، فأخوانه القس سليمان الصائغ، الأديب والمؤرخ الموصلي الكبير صاحب كتاب (تاريخ الموصل) في ثلاثة اجزاء، وعبد الاحد (ت ١٩٢٤غرقا) من اوائل مدرسي الهندسة في العراق، وموسى (ت١٩٥٧) والد نجيب الصائغ (الدبلوماسي والسياسي المعروف) وداود الصائغ، احد زعماء الحركة الشيوعية في العراق.

وفضلا على ذلك، فأن الزوجة الثانية لنعوم الصائغ هي اخت يوسف نمرود رسام الذي عمل مع البعثات الاجنبية للتنقيب عن الآثار في الموصل، مما اكسبه صلة بالاجانب الذين كانت آلة التصوير لا تفارقهم. ويقول المرحوم نجيب الصائغ أن عمه نعوم استورد من المانيا آلة تصوير مع ادواتها كاملة في سنة ١٨٩٢، وأخذ يمارس التصوير على سبيل الهواية. ولعل من المفيد ذكره ان نعوم الصائغ هو والد الشاعر العراقي يوسف الصائغ (ت٢٠٠٦). وكان نعوم متأثرا بأخيه القس سليمان الصائغ (١٨٨٩-١٩٦١) لمواهبه العديدة فقد كان اديبا واثاريا ومؤرخا مرموقا، اضافة الى واجباته الدينية كأحد علماء الدين الكبار، وقد عمل نعوم فترة من الزمن مصححا لمجلة (النجم) وهي المجلة الموصلية الذائعة التي اصدرها سليمان الصائغ لسنوات طويلة. وقد توفي سنة ١٩٤٨ عن ثلاث وسبعين سنة.

لقد ترك نعوم الصائغ عدد كبير من الصور الوثائقية التي تكون ثروة وثائقية نادرة ولو جمعت هذه الثروة لكونت مجموعا تاريخيا نفيسا، فالصورة وثيقة اصيلة لاتقبل الجدل، وما اطلعنا عليه من اثار نعوم الصائغ الفوتوغرافية، يثير الدهشة والتأمل. وتشير المعلومات المتوفرة عنه ان تعلم فن التصوير الفوتوغرافي، اضافة الى الدومنيكان، من بعثة المانية كانت تقوم بأعمال التنقيب عن الآثار في نواحي الموصل. وكان اتصاله بتلك البعثة مكنه من شراء آلة تصوير كبيرة الحجم ثم عاد فأقتنى آلتين اصغر حجما من البعثة نفسها وجهاز طبع وتكبير، وعند اعتزاله التصوير باع ادواته الى الفنان مراد الداغستاني. وتذكر المعلومات ان نعوم الصائغ قد حول احد الغرف الملحقة بداره الى غرفة مظلمة لغسل وتحميض الافلام وطبع الصور وكثيرا ما كان والي الموصل يطلب منه تصوير المناسبات المختلفة. ثم تولى الصائغ تعليم فتى ارمني اسمه (آكوب) وقد مارس هذا التصوير في الموصل قبل بروز مراد الداغستاني.

لقد كان نعوم الصائغ فنانا بكل الكلمة من دلالة. فصوره التي التقطها تدل على حسن مرهف وحنكة فنية كبيرة، وذكر البعض انه كان عازفا للأرغن في كنيسة الكلدان ومعلما للموسيقى الكنسية، كما عمل في التعليم بالموصل لسنوات طويلة. ولعل الايام تقدم لنا الشيء الكثير عنه وعن اقرانه من الفنانين والموهوبين المنسيين، والأمل كبير بأن نرى مجموعا ببعض آثاره الفنية الجديرة بالتذكير والتنويه.

المصادر: مجلة المصور العربي (١٩٨٨)، جريدة الصباح ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٧ دليل العراق لسنة ١٩٣٦. مذكرات نجيب الصائغ...

علي طالب ووجوه الفقراء

فؤاد شاكر

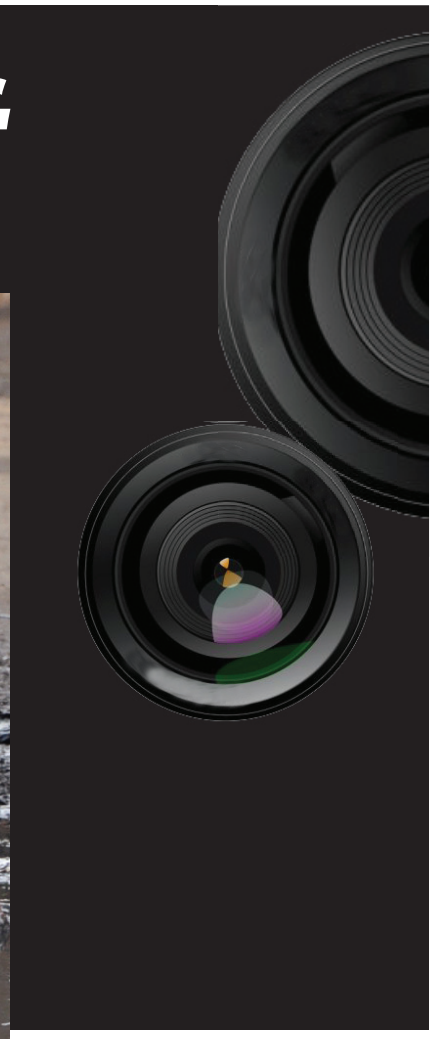

لم أجد في حياتي انسان ناضل وكافح بكامرته من اجل الفقراء .. ومن الانسان ، كما رأيت عند الفنان علي طالب .

رجل حمل كامرته كما يحمل المقاتل سلاحه... وكان يحمل الكاميرا والامل والحلم الكبير .. حلم كسر نير عبودية الانسان للانسان .!

ذاك الحلم لم يفتأ يفارقه أو يزيغ عن فكره رغم ازيز الطلقات وانفجار القنابل والعطش والجوع في القفار .

لم تكن الثورة همه الوحيد ... بل كانت الطفولة جل همه ، حيث لاوطن سعيد بلا طفولة سعيدة هانئة .. (هكذا كان يقول) .

كان يسعى كي يؤسس فوتوغرافا انسانيا من صميم الواقع المر للطبقة العاملة المسحوقة .. فوتوغرافا يناجي المشاعر الانسانية .. ويمتلك القلوب قبل العيون التي تتأثر بمظاهر الترف والبريق الفوتوغرافي .. يحمل بين طياته هموم الانسان واحلام الطفولة وبشاعة المحتل وقوة الارادة .. فنا يختلف عما كان يعرض في صالات العرض العربية والاوربية .

فكيف كان يوفق لذلك ؟؟

كان علي طالب فنانا متواضعا ، ودودا ، ذا خلق عال ، حين يبدي رايه بموضوع يتعلق بالفوتوغراف فأنه يتحدث كالناسك المتعبد لهذا الفن .. وأذ ما تناول موضوعا حياتيا يحمل طابع التفكه ، فهو صامت بابتسامته الخجوله ، بالاضافة لهذا كله فهو من عشاق التصوير بالاسود والابيض .. بل كان ذو حس مرهف أزاء تذوقه للظل والضوء

كان يشرح للجميع كيف يتذوق الظل والضـــوء فيقول :

انا اشعر بالضوء ينساب من الأعالي كقصيدة الهية تغازل الاشجار والشوارع ووجوه النساء والأطفال فأحس بطعمها وحلاوتها ورقتها .. فيأتي الظل ليضيف من عتمته القسوة .. والأمان .. والحب !

يبتسم علي طالب ليضيف : الله خلق كل هذا الحب وهذا الطعم العجيب من شهد الضوء والظل فكيف لا نتذوقه .كان جاسم الزبيدي شاعر، رقيق بصوره ، حساس بدلالات مواضيعه .. كلماته الكاميرا والعدسة .. حروفه وجوه الاطفال والمناضلين ، ووجوه الناس التي خطت بعرق الهم والاحلام المنطفئة !!

حيث كان من الممكن لاي شئ ان يؤثر بهذا الفنان الذي يحمل بين جنبية قلبا عاطفيا رقيقا ، كان محبا للخير .. للناس ، بل حتى للذين يحملون له البغضاء .

امتلك علي طالب تلك الرؤيا الفوتغرافية وذاك النبوغ وذاك الحس من تربيتة ، حيث ترعرع في عائلة كادحة تناضل لاجل تربية ابنائها وتنشئتهم فكان رحمه الله منذ صغره مغرما بالصور التي تعرضها الاستديوهات في واجهاتها الامامية .

فأذكر انه كان يقول لي :- كانت الصور المعروضة تسحرني .. فأقف دقائق طوالاً أحدث نفسي كيف بالامكان نقل الحياة على ورق ؟ وما هو ذلك السحر ؟ .

اشتغل بتلك المهنة التي اسحرته وسلبت لبه .. فكان اسلوبه في ذلك الوقت فيه شئ من الغرابة بالنسبة للمصورين الآخرين اذ كان يصور وجوه الناس والفقراء ويعرضها... وكان يشعر بالسعادة حين يرى الفرحة بادية على وجوه زبائنه الكادحين المسحوقين ... كان يريد ان يقدم لهم شئ أي شئ كي يمسح جزء بسيطا من آلامهم وهمومهم .. وكان ايضا يحس ان عدسته أوفت بواجبه الانساني اتجاه هؤلاء الناس الذين يشاركونه العيش على هذه الكرة الارضية .

من خلال هذه الرؤيا الشمولية للواقع الانساني المرير الذي كان يواكبه الفنان علي طالب تولدت لديه ثقافة فوتغرافياً وتكوين للمشهد الدرامي الفوتوغرافي وعمق الاحساس الفني والاجتماعي وصدق التعبير ، فصارت الكاميرا رفيقته .. بل حبيبته الاولى والاخيرة.

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

علي طالب يكتب عن حامل الكاميرا

أتاحت الكاميرات الرقمية الحديثة العديد من الإمكانيات التي تساعد عشاق التصوير الفوتوغرافي على التقاط الصور بأفضل جودة ممكنة ، فعلى سبيل المثال تشتمل الكاميرات الرقمية الحديثة على مثبت صورة مدمج تتمثل وظيفته في التغلب على الاهتزازات أثناء التقاط الصورة. وعلى الرغم من الإمكانيات الهائلة لهذه التقنيات الحديثة إلا أنها لا تستطيع تقديم يد العون لهواة التصوير الفوتوغرافي في بعض الظروف الصعبة التي يتعذر فيها التقاط صور بجودة عالية ، مثل الظلام والإضاءة الخافتة والتعرض للضوء لفترات طويلة. حينئذ يتعين على عشاق التصوير اللجوء إلى حامل كاميرا ذي كفاءة عالية لتركيب الكاميرا عليه في مثل هذه الظروف التي تتطلب حماية الكاميرا من الاهتزازات ، كي يتسنى التقاط صور عالية الجودة.

غير أن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو.. أي الأنواع يوصى باستخدامها؟ ونظرا لتعدد الأنواع المتوافرة في الأسواق ينصح الخبراء عشاق التصوير بضرورة إمعان التفكير والمقارنة بين أكثر من نوع قبل أن يقع اختيارهم على أحدها.وفي هذا الصدد تؤكد كونستانسه كلاوس العضوة باتحاد الشركات العاملة في مجال التصوير الفوتوغرافي – مقره فرانكفورت بغرب ألمانيا – أن حامل الكاميرا من التجهيزات الأساسية التي ينبغي أن يمتلكها أي مصور فوتوغرافي. وتشير إلى أن كثيراً من المصورين المحترفين يمتلكون أكثر من حامل كاميرا. وتُعزي كونستانسه السبب في ذلك إلى وجود الكثير من المواقف الصعبة التي يتحتم فيها على المصور استخدام حامل كاميرا. وترى أن فوائد استخدام الحامل تتضح جلياً عند التصوير الليلي أو في ظروف الإضاءة الخافتة ، فضلا عن استحالة التقاط الصور الفلكية دون استعمال حامل الكاميرا.لذا فلا عجب أن يكون حامل الكاميرا من أكثر الملحقات التي يحرص عشاق التصوير على شرائها. وترى كونستانسه أن السبب في ازدياد الطلب على حامل الكاميرا يرجع أيضا إلى الإقبال الشديد الذي تشهده الكاميرات الرقمية متغيرة العدسات "SLR" في الآونة الأخيرة.ومن الضروري اختيار حامل كاميرا مناسب لنوع الكاميرا المراد استعمالها معه ؛ وهل هى كاميرا رقمية أم كاميرا رقمية متغيرة العدسات؟ وفي هذا الشأن تؤكد كونستانسه ضرورة أن يتناسب حامل الكاميرا مع وزن الكاميرا. فعلى سبيل المثال إذا كان المصور يقتني كاميرا رقمية متغيرة العدسات ، فإنه ينبغي عليه شراء حامل كاميرا يتسم بالصلابة والمتانة ، نظرا لأن هذه النوعية من الكاميرات أكبر حجماً ووزناً من الكاميرات الرقمية الأخرى.وتحذر كونستانسه من عدم الالتزام بذلك ، موضحة أنه من الممكن أن تتسبب الرياح الشديدة في سقوط الحامل والكاميرا المثبتة فوقه. وحتى إذا كان حامل الكاميرا قادرا على الصمود أمام الرياح الشديدة ، فيمكن أن تتعرض الكاميرا لاهتزازات تؤثر سلباً على جودة الصورة. وترى أن السبب وراء ذلك يكمن في خفة وزن حامل الكاميرا مقارنة بوزن الكاميرا الكبير. وبناء عليه تنصح كونستانسه بإتباع القاعدة التالية .. حامل الكاميرا ينبغي أن يكون قادراً على تحمل من ثلاثة إلى أربعة أمثال وزن الكاميرا.وبالنسبة للكاميرات الرقمية خفيفة الوزن ينصح رون فوللرات – مُحاضر فن التصوير الفوتوغرافي بمركز تعليم الكبار فى مدينة هامبورغ بشمال ألمانيا – باستخدام حامل كاميرا متناهي الصغر يسهل طيه لاصطحابه إلى أي مكان ، كي يتسنى للمصور تثبيته في الأماكن التي يرغب بالتقاط صور فيها باستخدام المؤقت الذاتي. كما ينصح فوللرات باصطحاب الكاميرا إلى المتجر عند شراء حامل كاميرا وتجربتها على أكثر من حامل،

فبذلك يستطيع المرء شراء حامل كاميرا مناسب تماما لنوع الكاميرا التي يقتنيها.وفيما يتعلق بالكاميرات الرقمية متغيرة العدسات ينصح فوللرات المصورين كثيري الحركة والتنقل – لتصوير المناظر الطبيعية مثلا – بتفضيل حامل الكاميرا أحادي القدم على حامل الكاميرا ثلاثي الأقدام ، حيث يسهل حمله كما أنه لا يشغل حيزاً كبيراً من المكان. أما من حيث الكفاءة فيوضح فوللرات أن كفاءة حامل الكاميرا أحادي القدم لا تضاهي أبداً كفاءة حامل الكاميرا ثلاثي الأقدام.

عن صحيفة المدى 2009

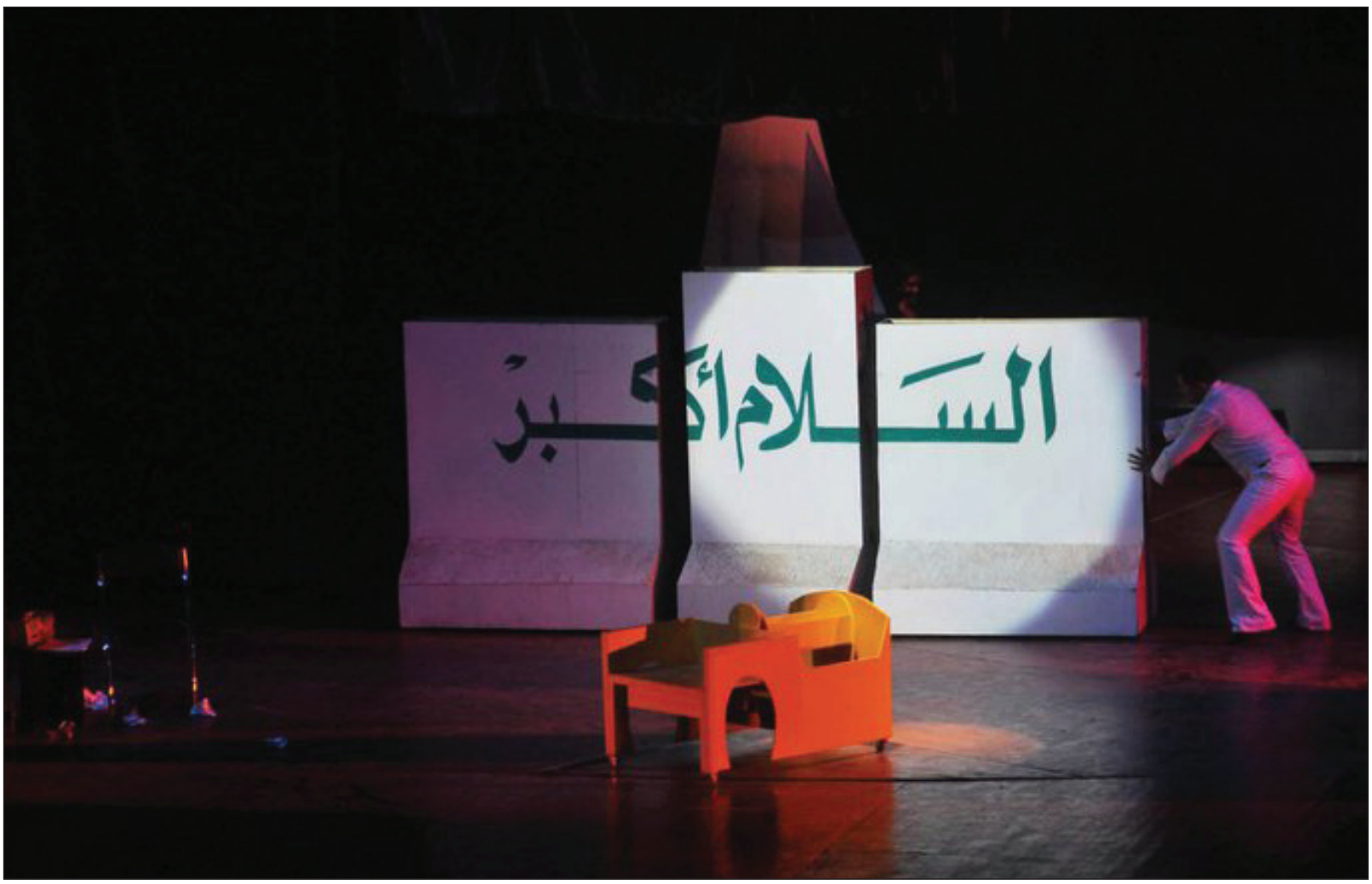

عراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

علي طالب: لحظة وفاء مرت بسرعة

سعاد الجزائري

بين العين واللحظة المسرعة مساحة لا يعرفها الا من قضى حياته يتصيد لحظات الخلود الكامن بين ظل ونور في دنيا بدأت تسير نحو الظلمة تدريجيا..
مساحة النور في روح انسانها، وظلها في قلبه، وبين الاثنين يرف جفن يبحث طويلا عن لقطة هي التي يريدها وليس غيرها، بين هذا الرفيف الراعش للجفن جلس علي طالب، حالما بصورة فيها الحياة والموت متجاوران، فيها الفقر والغنى قد يتعادلان، وفيها الحب والكره لا يختلفان.. لكن عدسته بقيت مفتوحة على حياة لا نريدها ان تغادرنا
انفتحت عين عدسته على الوجوه التي احبها لكي يخلدها في صورة، هي في قلبه قبل ان تنطبع على كاميرته..
صور الحياة بتناقضاتها، فكان مع الحب وامام الكره،
صوّر اسود الحزن على الامهات، ورسم نور الابيض الذي ارتقبه طويلا، لكي يحلق على شعاعه نحول امل لم يكتمل تحقيقه، وحلم انكسر في اول انعطافة لحياته..
جلس بين الفقر والثراء، حاكما عادلا على اناس عملوا تحت حروف فقرهم، وبين فتات موائد الاثرياء..
حمل كاميرته بينهم وعاش فقرهم، ليكون شاهدا على خلل ميزان الحياة والعدالة، التي تكسرت تحت وجع صوره وآلام ابطاله..
علي يحلم بصوره قبل ان يراها، وتتجسد مواضيعه في روح تعذبت بآلام غيرها، قبل ان تتآكل جسده آلامه..
بين النور والظل، جلس هذا الحالم متكئا على جدار زمنه المتكسر.. مترقبا تلك اللقطة التي لا تتكرر، لان اللحظة الحية تموت بعد مرور زمنها..
اقتنص كل اللحظات الحياتية، وخلد كل من اراده ان يبقى بين دروب الحياة..
وبين لحظة واخرى كانت عيونه تراقب الحياة، بينما الموت يجاوره بقسوة جارحة..
علي حمل مع العتالين هموم حياته وحياتهم، وفي معرضه فقراء.. اثرياء، كان الفقر اكثر حضورا، لانه اراد ان يخلده، ولم يبال بالثراء وترفه المؤقت..
تداخل مع الوجع والفقر وحاجة الناس، ونسى انه موجوع، فامتدت الالام في جسده طولا وعرضا، واقتنصت كل اللحظات التي كان يدور فيها بالشوارع بحثا عن انين قلب وصمت الالام..
اقتنص اوجاعهم، لكي يمنحهم حياة واملا، ولديمومته، نثر ذرات حياته بين فقرهم وامالهم.
انفتحت العدسة على زمن لم يقتنصه علي، لانه نام امام الكاميرا... اغمض عينيه فمرت اللحظة بسرعة، والمشهد مازال مستمرا على حياة تتسلل تدريجيا من قلب ارتعش بصمت ثم توقف..
عدسة كاميرته ستبقى مفتوحة على ذلك المشهد الذي لن يكتمل، لانه رحل وبقيت الصورة غير كاملة بنصف اطارمجروح....

علي طالب وصباحه المؤجل

مؤيد عبد الوهاب

بدعم ورعاية مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون اقام الفنان الفوتوغرافي علي طالب معرضه الشخصي الفوتوغرافي الذي حمل عنوان (صباح مؤجل) في مركز ديوان شرق غرب وضم المعرض اثنتين وثلاثين صورة جسدت الواقع العراقي باطار مختلف عن معارضه السابقة ، اذ حاول هنا الاستفادة من الفن التشكيلي .
واثناء تجوالنا في قاعة المعرض الذي شهد اقبالا كبيرا من محبي فن الفوتوغراف، تحدث الينا المصور الفوتوغرافي فؤاد شاكر قائلا :
معرض الفنان علي طالب يتسم بخصوصية لكونه ربط فن الفوتوغراف بالفن التشكيلي خلافا للقاعدة التي تقول ان الصورة تبقى واقعية وفيها حركة وبهذا لايرتبط الفوتوغراف بالتشكيل
لكنها تجربة جريئة من الفنان لايجاد مساحات عبر التجريب الذي يخطيء ويصيب واعتقد بان الفنان اشتغل على الثوابت وليس على الحركة التي تتسم بها الصورة «اما الكاتب والصحفي
فؤاد العبودي فقال هو الاخر عن المعرض: « انا عاصرت الفنان علي طالب وكنت ارى في معارضه رئة بغداد وصباحاتها المؤجلة تلك الصباحات التي لم تأت حتى الان وهذاما رأيناه في صورة الحكاية والتداعيات والحلم «وتحدث الفنان علي طالب عن معرضه قائلا:
« الغرض من المعرض هو ايصال فكرة للمتلقي عن كيفية أستخدام زوايا التصوير التي ابتعدت فيها عن نظام الفوتوشوب بل استخدمت الادوات المتاحة في جعل محيط الصورة رؤية اضافية الى الصورة ودمجها معها ..
فكرة المعرض هو انتظار الصباح المؤجل في هذه الصورة التي نتمناها وقربي من التشكيل هو الذي جعلني انحو هذا المنحى في المعرض «وعلى هامش المعرض تم تكريم الفنان الكوميدي العائد الى ارض الوطن الفنان حمودي الحارثي حيث قدم فيها الفنان سيرته وذكرياته مع الفنان سليم البصري إذ قدما معاً فناً مازال في ذاكرة الجمهور.

العراقيون
من زمن التغيير
العدد (2444)
السنة التاسعة
الخميس (5)
نيسان 2012

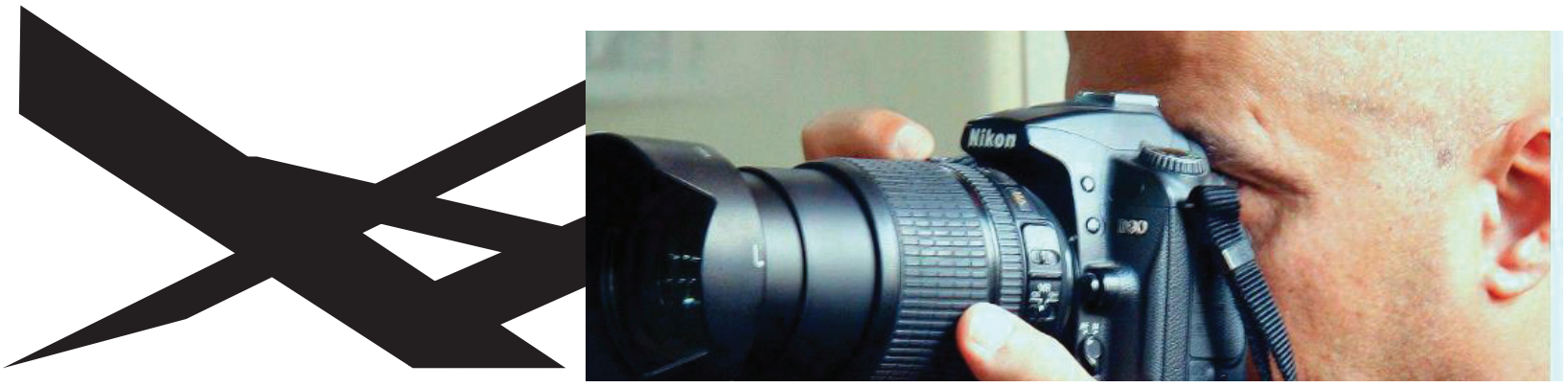

علي طالب: اللقطة لا تأتي من العبث..

مازال الفنان المصور الفوتوغرافي علي طالب يصر على القيمة التشكيلية والفن الفوتوغرافي رغم زحف التقنية الرقمية، ويؤكد على الروح الإنسانية لفن التصوير الفوتوغرافي، ويسعى الى اشاعته كثقافة جمالية، التقيناه في اسبوع المدى الثقافي كمشارك نشيط يتميز بروح التعاون ودماثة الخلق وهدوء الفنان المتأمل، ليحدثنا عن حكايته مع الفوتوغراف ورؤيته لهذا الفن.

قال علي: (بدأت التصوير منذ الطفولة، كنت اتتبع الصور، الصور التي تجسد الذكريات والتي اعتدنا عليها في المناسبات كالسفرات والحفلات. وكانت هناك تساؤلات في طفولتي لم أستطع ان اجد لها اجابات واضحة وبعد ان اهدى لي والدي- رحمه الله- كاميرا كانت سبباً في استمراري للبحث عن اجابات لتلك الأسئلة.. فوجدت الاجابات وأخذت اجمع المعلومات، ويستمر الفنان علي في سرد حكايته مع التصوير الفوتوغرافي: فيقول (ثم درست الرسم في معهد الفنون، كما درست السينما في كلية الفنون ولدي مكتبة عامرة بالمصادر والمراجع في هذا الفن، واقمت حتى الان تسعة معارض جميعها في العراق وسأقيم العاشر منتصف أيار وسيكون تحت عنوان (رفيف) على قاعة المصور العراقي، وسيضم أربعين عملاً وبالألوان.

×وماذا عن جريدة العين الاخرى؟

قال علي: في سياق نشر الوعي الثقافي الفوتوغرافي، وجدنا فراغاً في المطبوعات المعنية بفن الفوتوغراف وكانت محاولة اصدار جريدة متخصصة بعنوان (العين الاخرى)، وتوسمت بدعمها ممن يعنيهم الأمر ولكن للأسف لم احصل على أي دعم، وحبي للمشروع جعلني اتحمل دفع نفقات اصدار عددين منها ووزعتها مجاناً على الزملاء، وتوقفت التجربة لعدم وجود الدعم المالي!

×وكيف ينظر علي طالب الى فن الفوتوغراف؟

– يرى الفنان علي طالب ان الموهبة لغة لا تلقن ولا تعلم، الدراسة تهذب، وتثقف الفنان ليطلع معرفياً، والعمل والممارسة من شانهما تعزيز حرفية الفنان، المهنة تطور عين الفنان الفوتوغرافي.

اللقطة لا تأتي من العبث وإلا تحولت البوماتنا الى اطنان من الورق لا غير ولأ صبح كل الناس مصورين فالمصور فنان يتعاطف مع أو ضد إضافة الى انه يحول هذه الورقات الى اسقاطات من المشاعر والافكار، ان الفوتوغراف وسيط حواري بين الفنان والجمهور وليس بالضرورة ان ينتظر الفنان مقياساً للتفاعل.

× وكيف تنظر الى زحف التقنية على فن الفوتوغراف؟

– اتمسك بـ(مثل) على هذا الموضوع، الفوتوغراف يتميز عن كل الفنون التشكيلية فقد نشأت تلك وبقيت أدواتها هي هي ولكن أدوات الفوتوغراف متغيرة لان الفوتوغراف مبني على الآلة الميكانيكية فالآلات تتغير ولا اعتقد ان التطور التقني يدمر الفوتوغراف، بل هناك دفعه للإمام الا وهي اختصار عامل الزمن وتقليل استخدام المواد، والحصول على أفضل النتائج وتبقى نظرة الفنان وابداعه هما الاهم، فكاميرا متطورة بيد من لا يحسن استخدامها لا تساوي شيئاً، وكاميرا بسيطة بيد فنان تنتج ألاف اللوحات الجميلة.

× هل لك ان تقيم الفوتوغراف العراقي؟

– الفوتوغراف العراقي في محنة، دخل الفوتوغراف الى العراق مع الجيش الانكليزي ورغم هذه الميزة لم يتجاوز الفوتوغرافي العراقي مستوى المحلية ولاسباب كثيرة.ز واستبشرنا خيراً بعد سقوط النظام في عام ٢٠٠٣ وتبدل المسار الثقافي والفني في العراق وسقوط النظام الشمولي وتوقعنا ظهور تيار تجديدي في الفوتوغراف العراقي ولم يحدث وقد تكون الظروف الصعبة التي يمر بها البلد هي السبب.

ان الفوتوغراف العراقي الان فاقد للأسس الصحيحة فلا يوجد اهتمام به كفن على مستوى واسع ولايدرس في مادة الرسم الى جانب بقية المواد الاخرى بالنسبة للطلبة رغم ان الفوتوغراف بأهميته يدخل في الكثير من المجالات الحياتية وهناك ملاحظة وهي ان اغلب المصورين محليون ومنحازون الى مدنهم والبيئة المحيطة، ولدي ارشيف يضم صوراً من أبي الخصيب حتى اقصى نقطة في شمال العراق، وهي صور ليست سياحية ولكن صوراً تنظر وجاءت نتيجة معايشة ومراقبة ثاقبة لايقاع الحياة والناس في كل مدينة.

× وماذا عن التجربة مع مؤسسة (المدى) ؟

– تجربة اعتز بها الا وهي ورشة (مصورين صغار) والتي اقيمت العام الماضي في قاعة ميديا بالتعاون مع الفنان هادي النجار وعلي المندلاوي ودعم مؤسسة المدى ليؤكد على نشر الوعي الثقافي بالفوتوغراف. وتأتي هذه الممارسة كرد على حالة تدمير العقول النقية للأطفال وزجهم في نشاطات فنية متعددة كالرسم والموسيقى والفوتوغراف وسنكرر هذه التجربة بتطويرها.

عن صحيفة الصباح الجديد

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

حياتي وموت علي طالب

غادة العاملي

في لحظة تزامنت فيها الحياة مع الموت استعدت ذكريات عشر سنوات ،أو أكثر .. أختصرها الآن في ذاكرتي بالأشهر الثلاثة الأخيرة. حينما اتفقنا أنا، وصديقي الفوتوغرافي علي طالب، على تجاوز أزمة مصيرية تمثل منعطفين في حياتنا، حيث بدأت الحكاية عندما وصلتنا دعوة للمشاركة في مهرجان سنوي ثقافي يقام في ألمانيا.

قرر هو أن يسافر ملبيا الدعوة التي انتظرها لأكثر من نصف عام ،واستغرقت منه جهدا، ووقتا ليؤمن متطلباتها بدءا من استحصال الفيزا ،وانتهاءً بحجز التذكرة.

أما أنا فقررت الاعتذار على الرغم من إلحاح الجهة المنظمة ، ذلك إنني تفرغت تماما لمشروع الدراسة، والحصول على الدكتوراه .

سافر علي بهدوء تصحبه أعماله القليلة التي انتخبها من بين ما التقطه من صور ليطلع العالم عبرها على شوارع بغداد وأزقتها في واحدة من رحلات أحلامه فيضيف لذاكرة الناس صورة عن بلد عجز السياسيون عن تجميلها !

ولم ينس أن يأخذ معه مجموعة من فحوصات، وعينات مختبرية تحمل في نواتها مرضاً لم نقدّر حجم لؤمه أصابه في الفترة الأخيرة.

كان الاتصال بيننا ، والصديق المشترك فتحي أبو الطبول رئيس اتحاد مصوري أوروبا، شبه يومي حيث أتعرف على أجواء المهرجان وأهميته، فكان للمعرض الذي أقامه في ألمانيا أثر كبير كمشاركة عراقية حين احتفى به الأصدقاء ،وتحدث عن تجربة بلده بلغته الإنسانية الحميمة ، دون حواجز أو مصدّات.

باشر بعدها مراجعات طبية مملة، مستفيداً من فرصة وجوده هناك ليقف على طبيعة المرض الذي يحمله، وبدأت سلسلة من الفحوصات والتحاليل ليدخل في دوامة الألم الحقيقي بجسده المنهك المسالم في مواجهة خصم كان أكثر منه شراسة وقوة.

بعد فترة اتصل بي الصديق فتحي ليخبرني، أن علي توقف عن العلاج، وهو ممتنع كليا عن الاستجابة له.

اتصلت به، واقترحت عليه أن نضع (انا وهو) أنفسنا في اختبار مصيري، أما الحياة ،وتجاوز المرض، أو مواجهة الموت الحتمي بالنسبة له، و النجاح والحصول على الدكتوراه ،أو ترقين القيد، والفشل بالنسبة لي.

وافقني تماما على ما ذهبت إليه، ونفذنا اتفاقنا، كنت أتصل به مساء كل يوم، أتحدث معه، أستنطقه لأسمع صوته، أو حتى إيماءة منه..أخبره عن عملي وتقدمي بالدراسة يوما بيوم. لم يكن من السهل التحدث إليه، فهو يشعر بالألم ،وعدم القدرة على التواصل .كنت أحاول حمله على الأمل ،وأعده بالغد، والحياة ،والإنجاز، وهو يجاريني مرة ،ويَسرني بآلامه التي لم يتحملها مرة أخرى .واستمر الحال هكذا ..يوماً بعد يوم بدأ يتحسن ،ويستجيب للعلاج ،وتحرك بعدها خارج حدود المشفى .. وبدأ التجوال بصحة كاملة في شوارع ألمانيا ملتقطا لبناياتها وواجهات محالها مئات الصور، أملاً بتنفيذ وعدنا له بإقامة معرض كنا سنسميه (يوم جديد) في بيت المدى في شارعه الأثير (المتنبي) .ولكن في ظروف لم تكن مناسبة ولم أتبين أسبابها حتى هذه اللحظة ،وبعد إلحاح وإصرار منه هرب من المستشفى دون أي مبرر مقنع ،مجرداً حتى من حقيبة سفره، عاد إلى بغداد تاركا العلاج في مراحله الأخيرة ليستسلم إلى المرض .

زرته في بيته بعد عودته إلى بغداد، ولكني لم أجد علياً بل وجدت شيخا كبيراً لم أتبين سنّه حتى ..كان يتكلم بصوت عال ومتحشرج، يحمل في يده مسبحة ظل يدحرج حباتها طيلة الوقت بحركة آلية لا تشبه حركة أصابع وثقت لحظات فرحنا ونجاحاتنا ،وحتى آلامنا .. كانت اليد تتحرك بيأس واضح وتعبّر عما حاول أن يخفيه حتى عن والدته.

خرجت وأنا حزينة أنتظر رحمة ،أو معجزة من الله لإعادته إلينا، وأملت خيراً عندما أخبرتني شقيقته أنهم سيسافرون إلى بيروت لإكمال العلاج بعد أن صارحتهم بطبيعة مرضه الذي أخفاه حتى عن زوجته الشابة الصغيرة ليس لشيء سوى خوفه على عائلته من التفكير بحزن أو مرض.

انطوت الأيام يوماً إثر آخر ،وانطوت معها أيضاً صفحات أخرى من أطروحتي، وزادت كذلك الجرعات التي أذابت جسد صديقنا علي ...

أستمر الاتصال بيننا حتى حانت اللحظة حينما تحدد موعد مناقشتي ودفاعي عن الأطروحة التي أكملتها في الوقت المحدد..اتصلت به لأطمئنه ،وأطمئنّ عليه واتفقنا على اللقاء بعد أن أنهي مناقشتي ،وينهي هو جرعته الأخيرة ،ويعود إلى العراق.

أكملت الدفاع عن الأطروحة ،وحصلت على الدكتوراه، بعد أشهر كانت هي الأصعب بالنسبة لي، وخرجت لأحتفل مع أصدقائي ،ولأوقد شمعة تضيء زاوية جديدة من زوايا حياتي ،وفي الساعة التي نطق بها الحكم بحصولي على الشهادة، وأثناء لحظة خروجي من باب الجامعة اتصل بي صديقنا عماد جاسم ليهنئني ،ويخبرني بصوت متردد وحزين أن شمعة أخرى في مكان آخر من هذا العالم قد انطفأت، وأخفت بظلمتها مساحة نقية، اسمها علي طالب.

مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

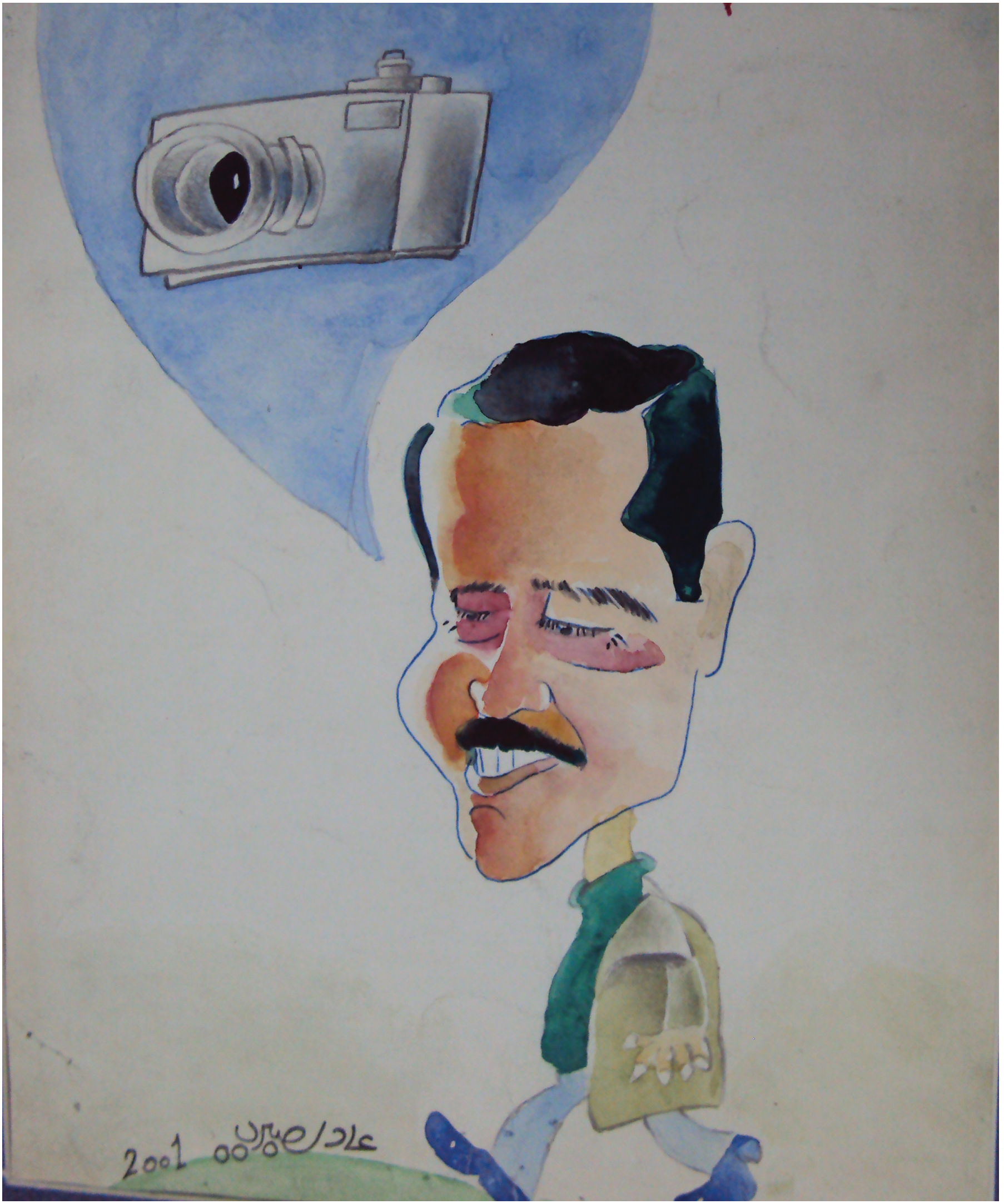

عراقيون
من زمن التوهج